تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على التعلم المدرسي لدى التلاميذ (دراسة ميدانية من مدينة فاس)

محمد جنان*

تقديم

شهد النصف الثاني من القرن العشرين وبداية الألفية الجديدة، ثورة تكنولوجية متسارعة، وشكلت شبكة الأنترنيت عصراً جديداً للاتصال وتبادل الأفكار والمعلومات بين سكان المعمور. وأضحى الكون عبارة عن قرية صغيرة. واستطاعت فعلا هذه الشبكة العملاقة تغيير نمط الحياة اليومية للإنسان على مستوى التواصل وتقريب المسافات وحذف الحواجز المادية والمعنوية، وحققت بذلك أهدافاً عظيمة لخدمة المعرفة والعلم والتقدم في الميادين المختلفة.

وأتاح الجيل الثاني للأنترنيت إمكانيات جديدة للاتصال، تمثلت في مواقع التواصل الاجتماعي، فازداد الإقبال عليها، حتى أضحى ذلك ظاهرة مجتمعية تستوجب الدراسة والتحليل، لما لها من آثار مجتمعية ونفسية وأخلاقية وصحية على المجتمع، وبالمقابل لها إيجابيات كثيرة نظرا للفرص الهائلة التي توفرها للمهتمين بالميدان الثقافي بصفة عامة، في التواصل والبحث واستعمال تقنيات وبرامج متنوعة. ومن اهم هذه المواقع: « فايسبوك »، و» تويتر « و» واتساب « وغيرها.

ويشكل استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال وتأثيره على سلوك ومردودية المتعلمين من المواضيع التي تستأثر باهتمام المسؤولين على قطاع التربية والتكوين، وكذا المدرسين وآباء وأولياء التلاميذ.

وقد حاولنا من خلال دراسة ميدانية لبعض الثانويات التأهيلية بمدينة فاس، الوقوف على درجة إقبال التلاميذ على استخدام شبكات التواصل الاجتماعي حسب مستواهم الدراسي وأعمارهم، وحسب الجنس والتخصصات التي ينتمون إليها.

وقد وزعنا استمارة أعددناها لهذا الغرض على عينة من الجنسين (ذكور، إناث) شملت 318 تلميذا، موزعين على 4 ثانويات تأهيلية تنتمي للأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين فاس

* - أستاذ باحث في الديداكتيك

– مكناس. وكانت لنا مقابلات مباشرة مع الأساتذة والإداريين لاستطلاع آرائهم حول الظاهرة (ماي 2017).

وللإلمام بالظاهرة من كل الجوانب، انطلقنا من مبدأين أساسيين:

1. تؤثر مواقع التواصل الاجتماعي عل التعلم الدراسي لدى التلاميذ بشكل إيجابي لما توفره من إمكانيات واعدة يمكن أن يستغلها هؤلاء التلاميذ في البحث والاطلاع على المستجدات العلمية قد تغني الأعمال والأنشطة الدراسية التي يقومون بها وتساعدهم على إنجاز مهماتهم التربوية.
2. إن الاستخدام المفرط للمواقع الاجتماعية (حتى درجة الإدمان) يؤدي إلى نتائج سلبية منها الفشل الدراسي، الهدر المدرسي، تراجع النتائج.

وكان اعتقادنا يصب في الاتجاه الثاني، نظرا لما نستشعره كأساتذة باحثين من كون تراجع مستوى التحصيل الدراسي مرده إلى ظهور شبكات التواصل الاجتماعي وتوسع الفئات المستعملة لها خصوصا في أوساط التلاميذ والطلبة، بكيفية غير ملائمة.

I- دوافع وأهداف التطرق لهذا الموضوع:

لقد أصبح الحديث عن شبكات التواصل الاجتماعي مقرونا بالتحصيل الدراسي والمردودية نظرا لسوء استعمالها من طرف غالبية المتمدرسين. وظهور مشاكل مرتبطة باستعمال هذه المواقع تتمثل في الغش وتسريب مواضيع الامتحانات...

وبالمقابل، فإن انتشار صفحات تربوية على هذه المواقع أدى إلى تفاعل عدد مهم من المتمدرسين معها، مما كان له الآثار الإيجابية على إنتاجاتهم التربوية.

رغبتنا الأكيدة كمؤطرين للطلبة المنتمين لمسالك الإجازة في مهن التدريس رصد تجليات وأسباب التعاطي المفرط لاستعمال مواقع التواصل الاجتماعي من طرف المتمدرسين، ومحاولة توجيه أبحاث تدخلية لإيجاد طرق مثلى لاستعمال هذه المواقع إلى جانب كل المتدخلين في قطاع التربية والتكوين والفرقاء الاجتماعيين.

ويهدف البحث إلى رصد مظاهر استخدام المتعلمين لمواقع التوصل الاجتماعي وأسباب ذلك، وكذا التأثيرات التي يخلفها هذا الاستعمال على التعلمات لدى التلاميذ سلبا وإيجابا. أملا في اقتراح حلول للتوعية وترشيد استعمال هذه المواقع واستثمارها بالشكل الإيجابي.

II- نشأة مواقع التواصل الاجتماعي:

كان للعولمة دور مهم في ظهور مواقع التواصل الاجتماعي واستعمال التكنولوجيات الحديثة بشكل واسع من طرف الإنسان. وصاحب ذلك، ثورة معلوماتية لم يسبق لها مثيل، استخدمت فيها وسائل الاتصال والتقنيات المتطورة المتنوعة، متجاوزة الحدود القومية (دبلوماسية الاتصال الإلكتروني)2.

وظهرت مواقع التواصل الاجتماعي في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1995، حيث أول موقع وهوClassmates.com أحدثه الأمريكي « راندي كزنراديز « الهدف منه تقسيم المناطق الأمريكية إلى مدارس ينتسب إليها مجموعة من الطلبة. وبعد ذلك ظهرموقعSixdegres.com سنة 1997 وركز على الروابط المباشرة بين الأشخاص بغض النظر عن تخصصاتهم العلمية أو انتماءاتهم السياسية أو الإيديولوجية. وكان ذلك الحدث بمثابة بداية ظهور مجموعة من مواقع التواصل الاجتماعي تخطت الحدود القومية.

واعتمدت في بدايتها تقنية « Web 1 « كمرحلة تأسيسية للشبكات الاجتماعية3 ومع الموجة الثانية لـ « Web 2 « ظهر موقع Myspace.com سنة 2003 وموقع « Linkedin « الذي اكتسب شهرة كبيرة حيث بلغ عدد مستخدميه سنة 2015 إلى 330 مليون. وفي الرابع من فبراير 2004 تمإطلاق الموقع الشهير « Facebook.com « وبلغ عدد مستخدميه أكثر من مليار و400 مليون حاليا، وبعد ذلك ظهر موقع « Twiter « أوائل 2006 عبر خدمات صغيرة من طرف شركة Obvious قبل أن يأخذ اسمه المعروف سنة 20074.

وتأسس موقع Whatsapp سنة 2009 من طرف الأمريكي « بريان أكتون « والأكراني « جان كوم « وهما موظفان في موقع « yaho «. ويمكن من خدمة المراسلة الفورية، وهو متعدد المنصات للهواتف الذكية ولأجهزة « أيفون «، « بلاك بيري «، « ويندوزفون «، « أندرويد «...

III- بعض خصائص مواقع التواصل الاجتماعي:

ما يميز مواقع التواصل الاجتماعي المعروفة حاليا على المستوى العالمي، هو تقديمها لمنتوج متنوع، مما يجعلها تلقى الإقبال من طرف الفئات والشرائح المجتمعية المختلفة.

2- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص 147.

3- أشهرها موقع " Live Journal " وموقع " Ryze " الخاص برجال الأعمال.

4- إحصائيات مواقع التواصل الاجتماعي: https://www.statisticbrain.com/social-networking-statistics..

فموقعFacebook مثلا يتميز بمجانية الخدمات التي يقدمها، ثم بكونه يوفر قاعات تربوية افتراضية شبيهة بالقاعات التي تقدم فيها الدروس والمحاضرات، يتولى فيها منشط (صوتي – مرئي) إلقاء الدروس، وللأعضاء حق التفاعل والتعليق. كما أن لهذا الموقع خاصية إنشاء صفحات لأشخاص أو مجموعات لها اهتمامات أو انتماءات مشتركة مثلا.

أما موقع Whatsapp فيشترك في عدد من الخصائص مع موقع Facebook إلا أنه يتميز عنه في أخرى وأهمها: إمكانية بعث رسائل صوتية، وإجراء اتصالات هاتفية بين شخصين يستفيدان معا من خدمات الموقع...

أما باقي المواقع الأخرى « Viber » و« Badoo » و« Mawada » و« Twiter » فإنها تؤدي تقريبا نفس الخدمات لمستخدميها إلا أنها تشترط الربط بشبكة الأنترنيت.

VI- تحديد عينة البحث ومجالات استعمال مواقع التواصل الاجتماعي من طرف التلاميذ:

شملت عينة البحث التلاميذ المنتمين للسلك الثانوي التأهيلي (مراهقون) موزعين على 4 مؤسسات تعليمية بمدينة فاس، بلغ عدد أفراد العينة 318 تلميذ وتلميذة من التخصصات العلمية والأدبية، وخلصت النتائج المحصل عليها من الاستمارة المعتمدة إلى ما يلي:

في البداية طرحنا السؤال حول المواقع المفضلة لدى المستعملين فكانت النتيجة على الشكل التالي:

جدول رقم 1: مواقع التواصل الاجتماعي المفضلة من طرف التلاميذ:

الموقع المفضل	شعبة العلوم		شعبة الآداب	
	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث
الفيسبوك	% 84,37	% 77,78	% 77,78	% 79,24
واتساب	% 12,5	% 16,66	% 13,8	% 16,98
مواقع أخرى	% 3,13	% 5,56	% 8,33	% 3,78
المجموع	% 100	% 100	% 100	% 100

عمل ميداني 2017

يظهر إذن من الجدول أعلاه أن أغلب المتمدرسين الذين شملهم الاستطلاع يفضلون موقع الفيسبوك لما يوفره من إمكانيات هائلة للتواصل وتوفير خدمات متنوعة، كما ان النسبة الكبيرة منهم تتوفر على حساب بأحد مواقع التواصل الاجتماعي، بل منهم من يتوفر على أكثر من حساب.

وتعزى أسباب اختيارهم للفيسبوك ومن بعده الواتساب إلى مجانية أو ضعف التكلفة لولوج هذه الخدمات (64,46 %) وإلى فوائد تربوية متنوعة، ثم لأن الموقع يمكنهم من إنشاءصداقات وحرية التعبير وسهولة الاستعمال والترفيه.

وبالتالي فإن المجانية وضعف التكلفة تتحكمان إلى حد كبير في اختيارات المتمدرسين واستعمالاتهم للفيسبوكوالواتساب على الخصوص، خصوصا وان شبكة الأنترنيت تغطي مجالات واسعة وتمكن من استخدام مواقع متعددة. يوازي ذلك توفر التلاميذ على هواتف ذكية من شانها تسهيل الربط بالشبكة على مدار اليوم.

في سؤال ثاني عن توقيت ومدة استعمال مواقع التواصل الاجتماعي من طرف التلاميذ، وكانت الأجوبة:

جدول رقم 2: الاستعمالات اليومية لمواقع التواصل الاجتماعي من طرف المتمدرسين.

الاستعمالات	ذكور	إناث
يستعملونها يوميا	% 62	% 56
لا يستعملون المواقع يوميا	% 38	% 44
المجموع	% 100	% 100

يظهر من الجدول أن نسبة الاستعمال اليومي لمواقع التواصل الاجتماعي من طرف التلاميذ المنتمين للشعب العلمية هي أقل من الشعب الأدبية، وهذا راجع إلى اشتغال الفئة الأولى في إنجاز الواجبات اليومية من التمارين التي تستوجب وقتا أطول خصوصا خلال فترة الامتحانات.

وتتباين المدد التي يقضيها التلاميذ في التعامل مع هذه المواقع وتتراوح بين أقل من ساعة وأكثر من 4 ساعات يوميا كما يبين الجدول أسفله:

جدول رقم 3: المدة الزمنية اليومية التي يستغرقها التعاطي لمواقع التواصل من طرف التلاميذ.

المدة الزمنية	نسبة المستعملين لمواقع التواصل المختلفة
أقل من ساعة	% 15,45
ساعتان	% 28,17
من 2 إلى 4 ساعتان	% 23,24
أكثر من 4 ساعات	% 33,14
المجموع	% 100

حوالي أكثر من ثلث المستجوبين يستعملون المواقع المختلفة لأكثر من 4 ساعات يوميا، أي أكثر من نصف الحصص الزمنية ليوم دراسي كامل. وتبين المعطيات المحصل عليها كذلك أن ليس هناك فرق كبير بين المدة الزمنية التي يقضيها الذكور والإناث أمام الأجهزة المختلفة، خصوصا مع توفر شبكة لـ Wifi في المقاهي والمنازل وفي المؤسسات المختلفة.

والمثير كذلك من خلال التواصل مع مجموعة من التلاميذ، أن نسبة منهم يستعملون مواقع التواصل الاجتماعي داخل الفصول خلال الحصص الدراسية. حوالي 56 % من التلاميذ يستخدمون الهواتف ولو بشكل متقطع لتمرير رسائل أو فيديو أو غير ذلك، وفي بعض الأحيان للبحث عن معلومات تهم الأنشطة التعليمية.

وعبر بعضهم على إمكانية التوفيق بين مضامين الدرس والتواصل عبر المواقع، لكن نسبة منهم يعتقدون أن استعمال هذه المواقع خلال الحصص الدراسية ينعكس سلبا على التحصيل الدراسي.

جدول رقم 4: موقف التلاميذ من منع استعمال مواقع التواصل الاجتماعي داخل القسم.

مع أو ضد المنع	الشعبة الأدبية	الشعبة العلمية
مع المنع	% 56,52	% 49,25
ضد المنع	% 43,48	% 50,75
المجموع	% 100	% 100

يظهر من الجدول أن حوالي 53 % من التلاميذ يؤيدون منع الولوج إلى المواقع الاجتماعية داخل الفصول الدراسية رغم أن بعضهم ممن يستعملون هذه المواقع، بينما عبر الباقون (4 % تقريبا) عن رفضهم المنع وأغلبيتهم من الذكور بدعوى الترويح عن النفس وتخفيف الضغط.

استخدام مواقع التواصل الاجتماعي خلال فترة الامتحانات:

تبين المعطيات المحصل عليها أن ولوج هذه المواقع لا ينقطع حتى خلال فترة الامتحانات لدى نسبة مهمة من المتمدرسين.

جدول رقم 5: استخدام مواقع التواصل الاجتماعي حسب الشعبة والجنس خلال فترة الامتحانات.

	الشعبةالأدبية		الشعبةالعلمية	
	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث
نعم	% 61,11	% 51	% 61,29	% 47,22
لا	% 38,8	% 49	% 38,71	% 52,78
المجموع	% 100	% 100	% 100	% 100

تظهر النتائج المحصلة أن أكثر من 60 % من الذكور وحوالي 49 % من الإناث يؤيدون استخدام مواقع التواصل الاجتماعي خلال فترة الامتحانات بالنسبة للتخصصات الأدبية والعلمية. وتتفاوت النسب بين الذكور والإناث وحسب الشعب. فحوالي 53 % من التلميذات لا يستخدمن هذه المواقع في الشعبة العلمية و49 % فقطفي الشعبة الأدبية.

إلا أن هذا لا يمكن أن يخفي الوعي المتزايد لدى فئة التلاميذ بأهمية ترشيد استعمال هذه المواقع لما لها من انعكاسات سلبية على التحصيل الدراسي. وجاءت مقترحاتهم حول كيفية التخفيف من حدة استعمالها كما يلي:

جدول رقم 6: اقتراح طرق لتخفيف حدة استعمال مواقع التواصل الاجتماعي في الفصول الدراسية وخلال فترة الامتحانات من طرف التلاميذ أنفسهم.

الطرق المقترحة	النسبة %
قطع النت	% 16,58
التشويش على المواقع	% 5
التوعية	% 13,56
منع الهاتف في المؤسسات التعليمية	% 17,50

إجبارية الأداء (مجانية)	% 1,13
مراقبة أولياء الأمور	% 9
فرض عقوبات على المستعملين	% 2,5
حظر المواقع بالمؤسسة	% 4

وعبرت نسبة 17,51 % من التلاميذ بأنه لا يمكن إيجاد طرق كفيلة بالتخفيف من حدة استعمال مواقع التواصل الاجتماعي، نظرا للانتشار الواسع لها ولصعوبة التحكم في هذه الظاهرة حاليا، بينما أبدى مجموعة من التلاميذ (13,22 %) عدم الخوض في هذه الأمور.

V- تأثير استعمال مواقع التواصل الاجتماعي من طرف التلاميذ على التحصيل الدراسي:

تبين المعطيات أن التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي من طرف التلاميذ تستهلك غلافا زمنيا مهما منقوص من الزمن المدرسي. بل أصبحت هذه المواقع تشغل الزمن الكامل للتحصيل عند بعض التلاميذ الذين أصبحوا مدمنين عليها ليلا ونهاراً. وبالمقابل هناك من التلاميذ من يستثمرها لصالح الأنشطة التعلمية مما انعكس إيجابا على نتائجهم الدراسية.

عبرت نسبة 58 % من المستعملين لهذه المواقع عن أنها يمكن أن ترفع من مستواهم التعليمي لما توفره من إمكانيات هائلة للاستفادة من قاعدة بيانات ومعلومات تربوية لا حدود لها، شريطة الاستغلال الجيد للصفحات التربوية التي تقدم دروسا في التخصصات المختلفة واستراتيجيات العمل وتوجيهات وحلول، كما تمكنهم هذه الوسائل في التواصل بينهم وتبادل المعلومات والأفكار والوثائق أيضا، ما يوفر على المتمدرسين كثيرا من الوقت والجهد.

جدول رقم 7: توزيع مواقع التواصل الاجتماعي حسب الغرض.

طبيعة الاستخدام	عدد الآراء
التواصل مع الأساتذة	157
تبادل الأفكار مع الزملاء	218
الحصول على الإرشادات	62
الحصول على الدعم المدرسي	54

يظهر من الجدول أن أغلب التلاميذ يستعملون هذه المواقع لأغراض مختلفة، للتواصل مع الزملاء والأصدقاء من مؤسسات أخرى، ومع أساتذتهم للحصول على أفكار وحلول وإرشادات، وكذلك الدعم، خصوصا مع قرب الامتحانات الإشهادية.

استنتاجات أساسية.

- النتائج المحصل عليها من الاستمارة تبين الازدواجية في التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي، فئة من التلاميذ تستفيد من الإمكانيات التي توفرها هذه المواقع، لكنها فئة قليلة بالنسبة لعدد التلاميذ الذين يستخدمونها بعشوائية وبإدمان وهذا يجيب على التساؤلات التي تمت صياغتها في بداية هذا البحث.
- الإشكالية الحقيقية تكمن في كيفية استعمال مواقع التواصل الاجتماعي والمدة الزمنية التي يستغرقها استخدامها من طرف كل شخص.

اقتراحات وتوصيات

أمام التحديات المختلفة التي تفرضها العولمة وانفتاح المؤسسات التعليمية على محيطها، أصبح من الضروري إدماج التكنولوجيا الحديثة في التدريس والاستفادة من الإمكانيات الهائلة التي توفرها عن طريق ترشيد استعمالها وتوجيه المتمدرسين على الخصوص للتعامل معها بحكمة وتبصر وحسب الحاجة. وفي هذا الإطار نقترح بعض الحلول التي في نظرنا تساهم في تخفيف الآثار السلبية التي تحدثها مواقع التواصل الاجتماعي على الحصيلة التعليمية:

- توعية المتمدرسين بأهمية هذه المواقع، لكن شريطة التوظيف السليم لها.
- حث الأطر التربوية على خلق صفحات بمواقع التواصل الاجتماعي هدفها توجيه المتمدرسين نحو الاستعمال الجيد لها، خدمة للمحتويات الدراسية.
- تحفيز التلاميذ على الإبداع والبحث باستعمال مواقع التواصل لأغراض علمية منسجمة مع المقررات الدراسية.
- اضطلاع آباء وأولياء التلاميذ بدورهم في مراقبة الأبناء وتوجيههم نحو الاستثمار الجيد للإمكانيات التي توفرها هذه المواقع. واقتراح بدائل أخرى كقراءة الكتب وممارسة الأنشطة الرياضية بانتظام، بغية تجنب الإدمان والاستعمال العشوائي لها.
- إعادة النظر في مجانية هذه المواقع من طرف المسؤولين وتقنين الولوج إليها في كل وقت وحين. أملا في حماية الناشئة.
- تنظيم أنشطة موازية داخل فضاءات المؤسسات التعليمية لكسر جو الرتابة الذي يطبع أحيانا العملية التعليمية – التعلمية.

- منع استعمال الهواتف واللوحات الإلكترونية داخل الفصول الدراسية. ووضع تطبيقات في المجال الترابي للمؤسسة التعليمية لا تسمح بولوج مواقع التواصل الاجتماعي خلال الحصص الدراسية.

خاتمة:

يتضح من خلال ما سبق أن استعمال مواقع التواصل الاجتماعي من طرف المتمدرسين هو سيف ذو حدين. إن لم يتم استثمارها بالشكل الأنسب انقلب تأثيرها إلى الجانب السلبي. وهذا يتطلب إجراءات عملية من طرف المسؤولين على قطاع التعليم من الوزارة الوصية إلى المدرسين والأطر الإدارية وباقي الفرقاء الاجتماعيين في كل مراحل العملية التعليمية – التعلمية، داخل وخارج الفصول الدراسية.

الوضعية إذن تقتضي تظافر الجهود واعتماد مقاربة شمولية تراعي مصالح التلاميذ. ولن يتأتى ذلك إلا بالتفكير العميق ووضع استراتيجية محكمة تضمن الاستثمار الأمثل للتكنولوجيات الحديثة في التواصل والمعرفة.

البيبليوغرافيا:

1 - المنصور محمود، 2003، العولمة، دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد، دار الجامعة، الإسكندرية.

2 - المنصور محمود، 2012، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، دراسة مقارنة على المواقع الاجتماعية والإلكترونية، رسالة ماجستر، الأكاديمية العربية المفتوحة.

3 - محمد عابد الجابري، 1997، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

4 - عبد الصادق حسن، 2014، تأثير استخدام الشباب الجامعي في الجامعات الخاصة البحرينية لمواقع التواصل الاجتماعي على استخدامهم وسائل الاتصال التقليدية. المجلد 7، العدد 1.

المواقع الإلكترونية:

www.Veiber.com www.aleqt.com

www.Whatsapp.com www.Kenanonline.com

www.Wikipedia.com www.Statisticbraic.com